

## التطور التاريخي لتصميم الحدائق

ان كل عصر من العصور التاريخية، سواءً القديم منها او الحديث له من مختلف الفنون التي تعبر عن رقيه وحضارته. وتكون مرآة صادقة تعكس مقدار تذوق اهل ذلك العصر لهذه الفنون. إذ انه لكل عصر وزمان قيمته الفنية الجمالية فما هو جميل لدى العراقيين او المصريين القدامى يختلف عما هو جميل في عصرنا والذي عد جميلاً في عصرنا كان في عصر اخر ذو قيمة جمالية مختلفة.

عند تناول موضوع تأريخ فن الحدائق نجد في محتواه مدى واسع من التفاعلات والنشاطات للانسان المبدع منذ نشأته وعلى مرور الزمن وتعاقب الاجيال، ويشكل ذلك من طموحاته لاشباع رغباته الكامنة وتحقيق ذاته المبدعة، وان ايصال مفهوم تأريخ فن الحدائق كواحدة من هذه النشاطات الانسانية ذات القيمة والمدلول الذي توصل اليه الانسان عبر آلاف السنين بعد معاناة وتفاعلات مع البيئة بكل محتوياتها وثقافته وقدراته بكل تفاصيلها ليتطلب توضيح كيفية نشوء هذا الفن ومعرفة المميزات والصفات العامة له ومدى امكانية الاستفادة منه .

### أولاً : حدائق العصور القديمة قبل الميلاد Ancient gardens

#### 1. حدائق وادي الرافدين (ما بين النهرين)

تعد حضارة وادي الرافدين من اولى الحضارات واقدمها على الاطلاق امتد تأريخها الى عدة آلاف من السنين ق.م فقد كشفت التنقيبات في بلاد اشور عن مخططات ومشاهد وصور ونقوش ذات علاقة بموضوع هندسة الحدائق والمساحات الخضراء والاحزمة الواقية ومصدات الرياح يمكن ملاحظتها وتتبعها في كثير من كتب التأريخ القديم لحضارة وادي الرافدين وفي بلاد سومر القديمة وهناك دلائل ونصوص كثيرة تشير الى مدى اعتناء سكان تلك الحقبة من الزمن بالحدائق وماتحتويه من احواض مائية ونباتات مزروعة وطيور.

لقد امتازت منطقة ما بين النهرين بخصوبة ارضها ووفرة مياهها بما تمثله دجلة والفرات وروافدهما والانهر والقنوات المحصورة، واستنادا الى بعض المؤرخين فإنه في الآلف الثالث قبل الميلاد كانت هنالك حدائق على جوانب مدرجات الزقورات ويذكر بأنه هنالك قرب احد القصور الملكية بشكل مرتفعات مزروع عليها أصناف الفاكهة والخضراوات اصلها من جبال الكلدانيين.

بنى الاشوريين بنو قصورهم على هضبات ضخمة صممت الحدائق من حولها وزينت هذه الحدائق بالمقصورات المنشأة على مرتفعات ضمن هذه الحدائق ومحصنة من حولها وكانت اشجار النخيل والصنوبر والسرو والشمشار من نباتات الزينة المنتشرة لديهم في الحدائق الاشورية، وبعد التنقيبات في بلاد اشور وجدت بقايا حديقة كبيرة صممت زمن الملك سنحاريب في القرن السابع ق. م تضم مساحة قدرها 16000م<sup>2</sup> كانت مكسوة بالتربة وقد شوهدت ثقوب في صخور الحديقة كان من خلالها يجلب الماء بواسطة قنوات الى الحديقة.

في زمن الملك سنحاريب والملك اسرحدون كان السقي الاصطناعي منتشرًا وفي القرن الثامن ق.م هنالك نصوص تتكلم عن تأسيس العاصمة الاشورية سنة 722-711 ق.م وتصميم منتزه وحسب توصيات سرجون الثاني جلبت له نباتات من سوريا.

لقد صممت الحدائق الاشورية على النمط الطبيعي (في الغالب) وفي ظروف طبيعية على سفوح المرتفعات بجانب القصور الملكية، كما أنشئوا الغابات من شتلات الاشجار الغابية واتبعوا نظام زراعة مصدات الرياح لحماية المدن والمناطق من الرياح الشديدة او تقليل الغبار وقد استعمل نباتات معلومة زرعت على مسافات محددة ومضبوطة على شكل خطوط من اجل انجاح عملية الزراعة.

اما الجنائن المعلقة التي بناها البابليون فقد عدت انذاك احدى عجائب الدنيا السبع حيث أمر الملك نبوخذ نصر الثاني ببناءها ارضاءً لزوجته الميديّة اميتس حفيدة الملك الميدي استياكا (604-562) ق.م يتكون البناء من أربعة مدرجات او طوابق جنب الباب الرئيسي الثاني للسور الداخلي جوار باب الآلهة عشتار وعند موقع القصر الملكي لمدينة بابل حسبما جاء في التنقيبات في تقرير الاثاري J.Lacam المعلن سنة 1949، وكانت ابعاد المصطبة الاولى 45×40م والثانية 40×30م والثالثة والرابعة اقل حجما ومساحة كلما ارتفعنا الى الاعلى وكان ارتفاع المصطبة الاولى 8م من ضمنها 2م لزراعة النباتات كأحواض المسطبة الثانية ارتفاعها 13م، 2م منها مخصصة للنباتات ام المصطبة الثالثة والرابعة فان سمكها لايزيد عن 1م وهي كافية لزراعة الشجيرات القصيرة والنباتات المزهرة العشبية يصل ارتفاع الجنائن الكلي الى 22م بحيث يتساوى الجزء العلوي من الحدائق مع ارتفاع الجدار الحصين للمدينة.

أما السقي فكان يتم بصورة غير واضحة لحد الان كان الماء يأتي من أعلى مسطبة الى الاسفل بسواقي مبطنة بقطع من الفخار المرصوف وبصورة انسيابية لوجود انحدار بسيط يسمح للماء بذلك. النباتات المزروعة كانت هي النخيل والقوغ والصنوبر والرمان والعنب والتين والياسمين والروز والليليوم والتولب .

## 2. الحدائق الفرعونية (وادي النيل)

كان تصميم الحدائق في مصر القديمة كما في بلدان الشرق القديم هندسيا مقسما الى اجزاء مربعة زرع في بعضها النخيل والرمان والتين والازهار ذات الالوان القوية (الحارة) وغالبا ماكانت هذه الاجزاء الهندسية محاطة بنباتات أسيجة مشذبة (مقصوفة) وكانت تشكل أحيانا مع بعضها لتكوين اقواس توفر الظل فوق بعض الممرات فضلاً على وجود المتسلقات التي يمكن الاستفادة منها ايضا لخلق جوفيه الظلال ودرجات الحرارة المعتدلة عند استعمالها للتسلق على القمريات، فوق بعض الممرات غير الواسعة.

كان الماء عندهم اهم عنصر في الحديقة واصبح هو مركز لاشعاع الجمال من وسط الحديقة ويمثل عندهم نهر الحياة الذي يستظلون لظل اشجاره الوارفة .

## 3. الحدائق الفارسية Persian gardens

تعد الامبراطورية الفارسية واحدة من الامبراطوريات القوية والكفوءة والواسعة حتى سقوطها على ايدي المسلمين في القرن السابع ولذا فان اعتنائهم بالحدائق كان بديهيًا ومتأثرًا احيانا بالمناطق المحاذية لحدودهم الغربية مع فن ما بين النهرين او بعبارة اخرى يفتقدون احيانا طابعهم الخاص بهم على الرغم من ان حدائقهم توصف بحدائق الفردوس "Paradice gardens" او حدائق الجنة "Eden gaerden" لقد كان الهدف من انشاء الحديقة الفارسية هو خلق مناخ او وسط مهياً للراحة التامة (ماء وصفوف أشجار ومماشي وطرقات) لهذا نجد بان الحديقة الفارسية أتاحت للمتزهين بيئة ملائمة وراحة تامة لاطلاق عنان تفكيرهم والتمتع بجمال الحديقة ومحتوياتها وكانت تلك الحدائق معزولة تماما عن المحيط الخارجي فهي ملاذ آمن للجميع ولاسيما العوائل .